

دراسة عن التأثيرات الفكرية لسيّد قطب الدين النيريزي

عن محيي الدين ابن عربي

A study on the intellectual influences of Sayyid Qutb al-Din al-Nirizi By Muhyiddin Ibn Arabi

حاتم البراهوني*

خريج ماجيستر قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان في زاهدان -

إيران hatam.barahoei@gmail.com

رضا الرضائي

أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان في زاهدان -

إيران rrezaei@lihu.usb.ac.ir

تاريخ الإرسال:

2022-06-08

تاريخ القبول:

2024-06-23

تاريخ النشر:

2025-01-31

ملخص: من أبرز الجوانب الفكرية عند الصوفية الكبار علو الفكر وسمو التفكير، والبعض من المفاهيم والمعاني في أدب الصوفية يجد تعابير قريبة بعضها من بعض بسبب وجود المصادر المشتركة، سيّد قطب الدين النيريزي عارف وشاعر إيراني عاش في القرن الثاني عشر الهجري في عهد الصفوية. توجد في أشعاره حول التصوف الإسلامي آثار من فكرة ابن عربي الصوفي المشهور في القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد حاولت هذه الدراسة نظراً إلى سابقتها في الموضوع، ومن خلال طريقة الوصف والتحليل، أن وحدة الطريقة والهدف بين النيريزي وابن عربي أدت إلى تكوّن أفكار وآراء متماثلة تعدّ الآيات القرآنية والروايات النبوية والتصوف الإسلامي مصدراً ومستنداً لجميعها، وقد وردت أحياناً تذكّرة نفس العبارة لابن عربي في الشعر العربي للنيريزي مع اختلاف طفيف، وأحياناً

* المؤلف المرسل.

تكون التفسيرات والرموز في تعبيرات هذين الصوفيين مشتركة ومتجانسة، فإن مصطلحات مثل وحدة الوجود، والأعيان الثابتة، والحب و.... من التعابير المشتركة بين ابن عربي والنيريزي.

كلمات المفتاحية: سيد قطب الدين النيريزي؛ ابن عربي؛ المشتركات الفكرية؛ التصوف في عصر الصوفية.

Abstract: One of the most prominent intellectual aspects of the great Sufis is their lofty thoughts and transcendental thinking. Some concepts and meanings in Sufi literature find expressions close to one another due to their reliance on common sources. In his poems on Islamic mysticism, there are traces of the famous Sufi ideas of Ibn Arabi from the 6th and 7th centuries AH. This study, being a pioneering work on the subject, adopts the method of description and analysis to argue that the unity of method and purpose between Al-Nairizi and Ibn Arabi led to the formation of similar ideas and opinions. These ideas are rooted in the Qur'anic verses, prophetic narrations, and Islamic mysticism, which serve as foundational sources for both of them. Additionally, some phrases used by Ibn Arabi were occasionally mirrored in Al-Nairizi's Arabic poetry, albeit with slight differences. At times, the interpretations and symbols in the expressions of these two mystics appear common and harmonious, particularly in terms such as the unity of existence, fixed entities, love, and others, which are shared expressions between Ibn Arabi and Al-Nairizi.

Keywords: Seyyed Qutbuddin Nairizi; Ibn Arabi; Intellectual Commons; Mysticism in the Sufi Era.

1-مقدمة: إنّ الأصول الفكرية لأيّ شخصية تتأثر بمصادر مختلفة، ولدراسة هذه المصادر، من الضروري معرفة المجتمعات التي عاش فيها تلك الشخصية، والرجال الذين كانت على علاقة معهم، والآثار التي درسها، وميوله الفكرية التي تأثر بها. لم يكن سيد قطب الدين النيريزي الشاعر والصوفي في العصر الصوفي مستثنى من هذه القاعدة، وإن الثورة الكبرى التي أحدثها ابن عربي (1165-1240 م) في التصوف الإسلامي لا تخفى على أحد، كما أن مكانة ابن فارض (1180-1234 م) في التصوف الإسلامي لم تكن خافية على أحد.

إن تأثير هؤلاء المفكرين الحكماء على تفكير الصوفيين في الفترات اللاحقة واضح للغاية وملحوس جدا. ابن عربي مشهور بعنوان الأعرف ولقب الأشهر بين المريديه ومحبيه، ولقب "الشيخ الأكبر" عنوان رائع جدا، ولا شك أنه يستحق ذلك⁽¹⁾ وصلت أفكاره إلى شرق العالم الإسلامي وإيران من خلال شارحي كتبه والأدباء، وتأثر بها المتصوفة والشعراء الإيرانيون أيضا.

يمكن رؤية عناصر أفكار ابن عربي ممزوجة بخصائص التيارات الصوفية الأخرى في زوايا ثقافتنا المعاصرة، حيث امتزجت بطريقة انتقائية ومتكاملة.⁽²⁾ كان سيد قطب الدين النيريزي، كاتب الآثار الصوفية وشاعر العصر الصفوي من الكتاب غير العرب، حيث تعلم اللغة العربية وأتقنها، وكتب بعض آثاره بهذه اللغة، ثم استفاد من المصنفات العربية وأفكار مؤلفيها في ضوء تعلم اللغة العربية، ومن أشهر هؤلاء الكبار هو ابن عربي، ويقال: عندما كان نيريزي في النجف يبدو أنه درس الفتوحات المكية لابن عربي في النجف".⁽³⁾

حاول هذا المقال أثناء شرحه للموضوعات الفكرية المشتركة بين ابن عربي وسيد قطب الدين محمد النيريزي، الكشف عن عمق تفكير هؤلاء العارفين والباحثين عن طريق الحقيقة في بعض الموضوعات الصوفية، والتي منها: وحدة الوجود، والتجلي، والمعاد.

2-خلفية البحث: رغم ما جرت حول حياة ابن عربي وأتباع مدرسته والمعلقين عليها دراسات عديدة، لكننا لا نجد عن حياة سيد قطب الدين النيريزي مباحث إلا في تراجم كبار الصوفية فقط، ويوجد كتاب واحد تطرق بتفصيل إلى التعريف بالآثار القيمة لهذا العالم الصوفي ولكن المجهول.

اهتم محمد خواجوي بالشرح الفارسي للقصيدة العربية "الإبداعية" لهذا الصوفي الشيعي، والتي نشرتها دار نشر مولي عام 2000م.

لقد تناول كلّ من "تاريخ وثقافة نيريز" في تاريخ نيريز ووصف أحوالها وآثار كبارها، تأليف محمد جواد شمس النيريزي عام 2000م. بالمجمع الثقافي - هنري كوثر نور نيريز؛ ومقدمة كتاب "منظومة أنوار الولاية" مع المقدمة والتصحيح من قبل البروفيسور محمد خواجوي في عام 2004 من قبل دار نشر داريا نور، حياة هذا الصوفي؛ سوى مقدمة الكتاب الأخير، كل ما جرى من دراسات أخرى كانت في شكل مقال، أو مقدمة، أو مقتطف موجز من كتاب، وإنّ أهمّ وأشمل بحث في هذا المجال ما قام به الأستاذ محمد خواجوي، والذي ورد في مقدمة الرسالة الروحية ومنهج التحرير التي طبعت بعزيمته بحيث تم وصف قطب الدين في الغالب بنثر مسجع، وفي بعض الحالات خرج النص من صيغة دراسة أو بحث، وأخذت طابع إنشاء وصفي، إضافة إلى ذلك تطرق الراحل الدكتور أسد الله خاوري في كتاب ذهبية التصوف العلمي - الآثار الأدبية، وإحسان الله استخري في كتاب "أصول التصوف" والدكتور محمد يوسف نيرى في مقالة عنوانها "مدرسة التصوف في شيراز" إلى شرح أحوال وآثار قطب الدين. والجدير بالذكر أن معظم هذه الدراسات، كانت دون أي نقد، وكانت تكراراً لإنجازات المتقدمين، وسلك مصنفوها في بعض الحالات بدلاً من البحث والدراسة في شرح أحوال سيد قطب الدين، طريقة المبالغة في مدحه والثناء عليه، بينما لآثار أي شخصية وكتاباته الدور الأكبر في التعريف بشخصيته العلمية والروحية والأدبية وما إلى ذلك؛ لذلك نحاول في هذا البحث أن نشير من خلال بيان الأفكار السامية لسيد قطب الدين وكذلك من خلال تقديم آثاره إلى دوره العلمي والروحي في عالم التشيع، لكن في الوقت نفسه قطب الدين النيريزي رغم شهرته، لم يذكر في الآثار العلمية للدارسين إلا نادراً، ولم يتطرق أثر مباشرة بتأثره من ابن عربي، وإنما ذكرت بعض خصائصه بطريقة مبعثرة في الآثار، على الرغم من شهرة "سيد قطب الدين النيريزي" إلا أنه لا يمكن

العثور على الخلفية البحثية للموضوع الحالي، وإن المقارنة النظرية بينه وبين مدرسة ابن عربي موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة.

دراسة الأحوال والآثار والآراء الصوفية لسيد قطب الدين محمد النيريزي وتصحيح رسالة "الوحدة الحقيقية" ورسالة "الكل والجزء" للدكتور علي رضا فاضلي والتي كتبت بتوجيهات كتب غلام حسين إبراهيمي ديناني، حيث دافع عنه عام 2003 في جامعة طهران.

لحدّ الآن لم يتناول باحث موضوع "أثر ابن عربي وابن فارض على الأشعار العربية لسيد قطب الدين محمد النيريزي" كموضوع، ولم أعرّث شخصيًا على أي عمل بحثي سواء في شكل كتاب أو مقال.

نظرا إلى المكانة السامية للآثار القيّمة لسيد قطب الدين محمد النيريزي في الأدب العربي بموضوع التصوف والحكمة، هناك حاجة إلى أن يهتم الطلبة والأدباء أكثر بهذه الآثار؛ لذلك حاولت التحقيق في هذا التأثير، حتي أساعد من هذا المنطلق على التعريف الأكثر لهذا العالم والصوفي الإيراني، وإن كان هذا العمل بمثابة قطرة صغيرة لا تعدّ شيئا مقابل بحر لا حدود له من الآثار والإبداعات الفنية لهذا العالم الكبير، وينبغي أن يتم استكشاف مظاهر فضيلته وشخصيته وتقديمها والتعريف بها أكثر.

1.2 سيد قطب الدين النيريزي: سيد قطب الدين محمد بن أبي طالب الحسيني النيريزي الشيرازي من متصوفة القرن الثاني عشر الهجري، ورأس إحدى الطرق الصوفية يعني الذهبية، ذكر جميع المؤرخين أن اسمه كان "محمد" ولقبه قطب الدين. سافر سيد قطب الدين، بعد حصوله الدراسات العليا في مسقط رأسه، شوقا لمقابلة عارف حقيقي ورجل كامل، ووصل أخيرا إلى حضرة الشيخ علي النقي اسطهباناتي الذي كان في ذلك الوقت أحد شيوخ الذهبية، وكان شيخا مرشدا، وصاحب خرقه هذه الطريقة.

اشتغل باكتساب العلوم، والمعارف الإلهية، والسفر، وأكرم بالزواج من بنت الشيخ علي النقي، إلى أن توفي الشيخ علي نقي عام 1126 واختار سيد قطب الدين خليفة له في قيادة الأسرة الذهبية، من أهم أساتذته العلامة شاه محمد درابي مؤلف رسالة "معراج الكمال" وهو أول شخصية يذكره سيد قطب الدين ويعتبره أستاذاً له، كما كان شيخه المجيز والمسند له في الرواية عن الأئمة .

قطب الدين يتذكر الشاه محمد درابي باحترام كبير ويصفه سيد كل خير، وأستاذ الأساتذة في دار العلم شيراز، كما أن الشيخ علي النقي اسطهباناتي أحد أشهر المتصوفة من الطريقة الذهبية، وكان المعلم الروحي لسيد قطب الدين الذي أكمل معه رحلته في مراتب السير والسلوك. أشاد قطب الدين في آثاره بالشيخ اسطهباناتي، وقدمه كأحد الدراويش الفريدين في عصره.

كان من أهم طلابه سيد مهدي طبطبائي المعروف بـ "بحر العلوم"، وهو من علماء الدين وفقهاء الشيعة في الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، وله أشعار باللغة العربية أيضاً، وهو من مراجع التقليد وكان أحد المتصوفة الشيعة البارزين الذين يعتبرونه عادة أحد قادة الصوفيين الشيعة المعاصرين.

كان محمد هاشم درويش الشيرازي؛ (1199 م) أول تلاميذ سيد الذي كان أيضاً صهره وهو الخليفة التالي ورئيس السلالة الذهبية. (القطب الثالث والثلاثون من الأسرة الذهبية).

2.2 الآثار: للنيريزي العديد من الآثار باللغتين الفارسية والعربية، ولكن الأثر المتميز والقيّم لقطب الدين النيريزي هو كتاب فصل الخطاب؛ هذا الأثر هو مزيج من الشعر والنثر العربي. (نثره هو ذكر الأحاديث في بيان ما ورد في الأشعار) وقد جرى تنظيمه وتبويبه على مقدمة، وثلاثة عشر تحميدة، وخاتمة؛ تضمنت مجموعة هذه الأشعار قصيدة تائية مفصلة وممتدة في موضوعات توحيد الله ومعنى النبوة والولاية وبعض

شؤون الأئمة (عليهم السلام). يقول سيد قطب الدين عن تسمية فصل الخطاب: "ولقّبته فصل الخطاب لأنّه سيفصل بين الحكمه النبوية وبين خيالات الفلاسفة التي قد اشتهرت في الألسن المولوية.⁽⁴⁾

3.2 الطريقة الذهبية: من الطرق التي تنسب نفسها للكرخي الشهير هي الطريقة الذهبية. الطائفة التي يعدّ سيّد قطب الدين النيريزي؛ أحد رؤوسها" ويعتقد أن هناك أربعة طرق من الفقراء في "الأمة الأحمدية" وجميعهم مرتبطون بأمير المؤمنين علي عليه السلام، ويعتقد أن السلسلة الذهبية أصحّها وأخلصها من بين تلك السلالات الأربع".

سلاسل أهل الفقر أربعة كما قد اشتهرت في الأمة الأحمدية
وقد انتهت أسناد جمهورهم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) الأعزّة
ولكن في إيران سلسلة وهم قد انتسبوا بالحضرة الرضويّة
وهم خلّص الأشياء فاشتهروا إذن لدى حزب أهل الحقّ بالذهبية.⁽⁵⁾

3-وحدة الوجود: إنّ المناقشة الدقيقة واللطيفة لـ"وحدة الوجود" في فكرة الفلسفة الإسلامية تعني الاعتقاد بأنّ الله له علاقة مطلقة بالعالم، بينما العالم ليس منفصلاً عنه، أي أن الحقيقة الإلهية متميزة عن تجلياتها ولها جانب متسامي بالنسبة لها، وهذه المظاهر ليست منفصلة بأي شكل من الأشكال عن الحقيقة الإلهية، لأنها تشملهم بأي شكل من الأشكال، وبعبارة أكثر اختصاراً: "العالم منغمس في الله بشكل غامض". بإمكاننا أن نختصر نظرية ابن عربي في عبارته التالية: سبحانه من أظهر الأشياء وهو عينها" يعني: المجد لله الذي أنزل الأشياء وهو نفس الأشياء.⁽⁶⁾

يقول سيد قطب الدين النيريزي في هذا المجال:

فأظهر أشياء ظهوراً بوجهه وأخفى بكنهه الذات والباطنية
وإدراكه بالوجه كان ضرورة ولكنّه بالكنه محض استحالة.⁽⁷⁾

وفقا لهذا الرأي، فإنّ الوجود ليس أكثر من واحد، وكل التعددات في الكون هي مظاهر للحق تعالى، والتي هي موجودة تبعا لجوهر واحد، وكل ما سوى الله يجدون مكانة وأهمية بوجوده، وكلها ظلال وخيالات لوجوده، وإن فكرته القائمة على وحدة الوجود، جامعة لكل موجود في الله تعالى، وفي نفس الوقت الاعتقاد بأن الله تعالى هو الوجود المطلق. أنشد المولوي في تأييد مثل هذه الوحدة للوجود بما يلي:

كنا منبسطين، وجوهرا واحدا، وكان الجميع بلا رؤوس وقوائم، وهو رأس الجميع.
كنا جوهرة كالشمس بلا عقدة، وفي الصفاء مثل الماء.

لما ظهر ذلك النور الخالص، أصبح رقما في ظلال المجمع. (8)

يرى ابن عربي أن نظرة وحدة الوجود "مرحلة فوق العقل"، وفهمها الكامل يتطلب معرفة أسمى، ولا يستطيع العقل استيعابها، على ما قيل في هذا الرأي، فالوجود ليس أكثر من واحد، وهو جوهر الحق المتعالي، وجميع الكثرات والمظاهر، والمجالي أسماء الحق وصفاته، فهناك وجود واحد نتلقى في بطنه العلة، ونرى في ظاهره المعلول، فالفرق في ظهوره وشؤونه، وفي كياننا لا نرى سوى التجلي والإظهار، وأننا جميعا في طور الخروج من الظاهر والباطن، وفي هذه الحالة لا يكون هناك إعدام أو فناء بعد الموت، ولدينا فقط الانتقال من عالم الظهور إلى عالم الباطن، وبالتبع ليس هناك مكان لإعادة المعدم لأجل المعاد الجسماني. "معظم المتصوفة، ومن بينهم، سيد قطب الدين يؤمنون بوحدة الوجود، أي أنهم يؤمنون بأن الوجود الحقيقي خاص بذات الحق، والوجودات الممكنة ظلال وصور لذلك الوجود الحق الأزلي الواحد، وكافة مراتب الوجود من النفس الرحمانية والفعل الأول وصنع الساكن - والتي هي جميعها أسماء الحقيقة المحمدية والعلوية عليهما السلام - إلى مراتب الماديات والهيولى، مظاهر وأضواء من وجود الحق تعالى. (9)

وحسب عقيدتهم إن الله تعالى سمى في آية "الم تر إلى ربك كيف مدّ الظل" (الفرقان، 54) الوجودات الممكنة بالظل، وأطلق على الذات الأقدس الذي هو مصدر ظهور الأنوار والظلال للوجود الممكنة بالشمس، من أجل أن يعرف أن حقيقة الوجود منحصرة بالذات الأقدس الإلهي وسائر الكائنات كلها بمنزل الظلّ بجانب إزالة الوهم القائل بوجود مشترك بين الواجب والممكن . يعتبر الحكماء التعددية الناتجة عن مبدأ إظهار جوهر الوجود تعددية حقيقية، لكن العرفاء يعتبرونه اعتبارياً، ويرون أنّ الوجود منحصر بالحق، لأنّ مبدأ حقيقة الوجود، وفقاً لعقيدتهم هو مبدأ واحد وصرف الشيء لا يقبل التعدد، لكن غير صرف الوجود مركب أي متكون من مبدأ الوجود والقيد الناتج عن تحديد الوجود، وبما أن القيد والتعدد الناتج عن التحديدات هو تعددية كالسرّاب، وغير حقيقية، لذلك فإن التحديدات العارضة على الوجود أمور اعتبارية⁽¹⁰⁾

«والنيريزي في هذا الموقف، مثل العديد من آراء طلاب ومعلقي الشيخ أكبر، اعتبر أن وحدة وجود الصوفيين هي التوحيد، وقال: إن بعض الناس، لما أنهم لم يفهموا معنى وحدة الوجود، اضطهدوا الفقراء والمتصوفة وكفّروهم.⁽¹¹⁾

كما أنّ لأمين الشريعة خوي (ت 1348 هـ) بحث مبسوط في هذا الباب، بحيث يقول: "ليس المراد من وحدة الوجود لدى صوفية الذهبية وحدة الوجود والموجود، بل اعتبروا موجودات العالم الحق المجازي المحتاج للفقير واللاشيء مقابل الحق الحقيقي الذاتي السرمدى. فلا يمكن لجوهر وحقائق الممكنات أن تكون هي نفسها جوهر الحقيقة، لكن إدراك وجودها وتأصله كان بإضاءة وتوسيع وجود الأسمى الأقدس"⁽¹²⁾ ويقول هو عن وحدة الوجود:

وتوحيد حزب العارفين بوحدة الوجود معاني وحي أهل النبوة ولم يفهموا المعنى المراد بوحدة الوجود بمعنى الحق عند الهداية قد اتهموهم بالضلال وكابروا أكابر حزب الشيعة الرضويّة بأنّ فلانا قائل في كتابه كذا وكذا من غير فهم العبارة وأنّ فلانا قال

لفظة وحدة الوجود فهذا كافر في الشريعة ولم يفهموا معنى حقيقه وحدة الوجود بأوهام العقول الضعيفة وأن اعتقاد العارفين بوحدة حقيقته ذاتية أزلية مقدسة عن وحدة عددية تشار بأوهام العقول السخيفة.⁽¹³⁾

ثم يستمر في توبيخ الذين يلومون وحدة الوجود ويكفرونه، فيقول:
أيافاضلا كُفرت عارف وحدة الوجود بلا تمييز فهم العبارة
رأيتك في نهج الهداية مشركا وليس عليك اليوم عار العبارة
ولكن كل العار تا الله راجع إلى شرك مفهوماتك الأحمدية
ولم تدر في نهج الهداية إنها حميقاء في توحيد رب البرية
وليس لها المصداق إلا زخارف الخيالات في أوهام أهل الحماقة" ⁽¹⁴⁾

4 - كيفية المعاد: موضوع المعاد من أهم القضايا الدينية وأكثرها إثارة للجدل والتي تكثر فيها الخلافات.

يؤمن ابن عربي في بيان كيفية الحشر والنشر للأجساد بما ورد في الشريعة الإسلامية، ويرى نفسه محتاجا للعلوم الدنيوية للأنبياء، ولا سيما خاتم المرسلين، ويؤمن بالمعاد الجسماني بكل قوة، وينتقد الذين اكتفوا بإثبات المعاد الروحاني، وبراهم فقراء في الفيض النبوي.

يعود أصل الخلاف إلى حقيقة الانسان ما هي؟ وهل المثوبة والعقوبة روحية أم جسدية؟ والشيخ أكبر لم يكن منكرا لحشر الأجسام، ولقد أكد في آثاره مرارا معاد الجسد، لكن كان يعتقد بجانب ذلك إلى المعاد الروحي، فهو يجمع بين المحسوس والمعقول، ولكل من الجزأين المكونين للإنسان، يؤمن بالحق في التمتع بنعم الله تعالى، وينتقد بشدة أولئك الذين يعتبرون معاد الأجساد أمرا عقلانيا وغير محسوس بقوة ويقول: «اعلم أن الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الاجسام، ولم نتعرض لمذهب من يحمل الإعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة، فإن ذلك على خلاف

ما هو الأمر عليه، لأنه جهل أنّ ثَمَّ نشأتين: نشأة الأجسام ونشأة الأرواح وهي النشأة المعنوية، فأثبتوا المعنوية ولم يثبتوا المحسوسة، ونحن نقول بما قاله هذا المخالف، من إثبات النشأة الروحانية المعنوية لا بما خالف فيه وإنّ عين موت الإنسان هو قيامته، لكن القيامة الصغرى فإنّ النبي - صلى الله عليه وسلّم - يقول: "من مات فقد قامت قيامته" وإنّ الحشر جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية هذا كلّه أقول به»⁽¹⁵⁾

لوحظ أنه قبل كلاً من نشأة الأجسام والنشأة المحسوسة وكذلك نشأة الأرواح والنشأة المعنوية.

كذلك يعتقد النيريزي، مثل ابن عربي يؤمن بنشأة الأجساد، ولقد تطرّق في فصل الخطاب إلى هذا بتفصيل، وقدم أدلة وبراهين كثيرة، ويقول:

وأما البراهين التي اتضحت لنا لتحقيق يوم الرجعة المستفاضة،
شواهد فرقانية سوف ينجلي حقائقها في محكمات الأدلة
وتفسيرها نصّ الأحاديث عندنا كما سوف أملئها بفضل الأئمة⁽¹⁶⁾.
ويرى أنّ هذا اعتقاد فضلاء علماء الحقيقة وأرباب الطريقة وعظمائها، ويقول:

«فلا تتعجب منه والله قادر على رجوعهم في النشأة الدنيوية».

كما أنّ هذه الواقعة وقعت في الدنيا وأحيى الله أمواتا.

ثم يستدل بالنصوص كالشواهد ويقول: قال الله سبحانه: والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب، (طارق: 1-3). عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السماء هنا أمير المؤمنين إلى أن قال: والنجم الثاقب، قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال عليه السلام: إنه على رجعه لقادر، كما خلقه من نقطة يقدر أن يردّه إلى الدنيا وإلى يوم القيامة⁽¹⁷⁾.

5، التناسخ: التناسخ في اللغة من النسخ - ويطلق على معان مختلفة، كالإزالة والمسح، والنقل⁽¹⁸⁾.

يقول الراغب الأصفهاني في تعريف كلمة النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظلّ، والظلّ الشمس، والشيب الشباب. (19)

التناسخ يعني ببساطة أن تتضمّن الأرواح البشرية إلى أجساد الإنسان أو الحيوان بعد الموت، ويوجد بكثرة في تعبير عظماء رجال التاريخ وعظماء الفلاسفة والصوفيين القدماء، العديد من الكلمات التي تشير إلى تناسخ الأرواح".

يرى ابن عربي في الفتوحات المكية هذا النوع من التناسخ باطلا بكلّ صراحة، ويرى أن معتقديه ضلّوا في فهمهم لكلام الأنبياء والعلماء، ويقول: «ومن هنا زلّ القائلون بالتناسخ لما رأوا أو سمعوا أن الأنبياء قد نبهت على انتقال الأرواح إلى هذه الصور البرزخية وتكون فيها على صور أخلاقها ورأوا تلك الأخلاق في الحيوانات تخيلوا في قول الأنبياء والرسل والعلماء أنّ ذلك راجع إلى هذه الحيوانات التي في الدار الدنيا، فأخطأوا في النظر وفي تأويل أقوال الرسل. (20)

هو باستخدام كلمة "فأخطئوا" يرى التناسخ الملكي باطلا، ويتهم المعتقدين بالتناسخ بالضلال والزيغ في فهم الأنبياء والرسل والعلماء، وإنما يرى نقل الأرواح إلى الصور البرزخية الحاصل من الهياكل والملكات النفسية والأخلاق الإنسانية سوى التناسخ باطلا. يقول في موضع آخر: فأما التناسخ إنه عبارة عن تدبير بدن آخر عنصري مثله، يعني أن النشأة البرزخية المثالية وتدبير صورها ليس تناسخا وإلا لوجب القول به.

يرى سيد قطب الدين النيريزي على غرار ابن عربي وابن فارض المصري بطلان موضوع تناسخ الأرواح بمعنى انتقال الروح من جسد مادّي إلى جسد مادي آخر، ويرفضه بشدة، ويعتبر هذا الاعتقاد كفراً، ويقول في شعر: ألا إن هذا ليس زعم التناسخ الذي هو كفر باطل بالمحجة. (21)

يقول الراحل الخواجوي في شرحه لمسألة النسخ وفصلها عن الرسخ والمسخ: "يجب أن نعلم أن التناسخ من باب التفاعل، وهو عبارة عن انتقال النفس الناطقة من جسد الإنسان إلى جسد إنسان آخر بعد الموت. يسمّى هذا النقل بالنسخ، وإذا انتقلت النفس الناطقة من جسد الإنسان إلى جسد حيوان فيسمّى هذا بالمسخ، وإذا تحولت إلى جسد نباتي يسمّى بالفسخ، وإذا انتقلت إلى المعدن والجسد الصلب يسمّى الرسخ. (22)

6- وحدة الأديان: من سمات الصوفية أنها متسامحة وبعيدة كلّ البعد عن التعصب وضيق النظر ولا تقبل الاحتكار والانحصار في ذلك، ويعتقد الصوفيون أنّ الأديان كلها واحدة، وهذه الوحدة في الأديان تعود إلى الإيمان بوحدة وجودها، يقول ابن عربي في هذا المجال:

لقد صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ فمرعَى لغزلانٍ وديَرٍ لُزُهْبَانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةٌ طائفٍ وألواحُ توراَةٍ ومصحفُ قرآنٍ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنى توجَّهتُ كركائبه، فالحبُّ ديني وإيماني

أما السيد قطب الدين النيريزي، وهو شيعي، يعتقد تبعا لابن فارض أنّ الحب مذهب، ويقول: دين الفقراء والمتصوفين هو الحب:

استمسكوا يا أولي الألباب واعتصموا بالعشق بل عظموا من نوره الخلقا

كونوا أحبّاءه سبحانه أزلا أشدَّ حبّا وهذا دين من وثقا
إذ لا نزاع لدى عشّاقه أبداً ودينهم واحد أن عشقهم صدقا (23)

7- التنزيه والتشبيه: التنزيه والتشبيه من أهمّ موضوعات التصوّف الإسلامي و"من أهمّ المباحث التي يطرح أثناء مبحث التوحيد ووحدة الوجود، موضوع "التنزيه والتشبيه". التنزيه والتشبيه لهما جذورهما في الكتاب والسنة، وقد نوقش بالتفصيل في الكلام والتصوف الإسلامي، ولا سيّما ابن عربي تناوله بالمبحث على وجه الخصوص في

الفتوحات المكية وفي فصوص الحكم. (24) كما كتب سيد قطب الدين قصائد باللغتين العربية والفارسية حول هذا الموضوع.

المقارنة بين التشبيه والتنزيه في الصفات الإلهية- من الموضوعات الكلامية- بين المتفكرين، رغم أن العارفين عاشوا في مكانين وزمانين مختلفين، لكن لديهم آراء متساوية حول مقولات التشبيه والتنزيه في الصفات الإلهية، وتعود هذه المسألة إلى تأثر سيد قطب الدين النيريزي من ابن عربي.

التشبيه والتنزيه من القضايا الكلامية، كل منها يعكس آراء عن الفرق الإسلامية المختلفة والديانات غير الإسلامية. "التشبيه في اللغة تدل على مشاركة أمر مع آخر في المعنى". لكن في مصطلحات المتكلمين تمثيل الخالق بال مخلوق ونسبة بعض الصفات البشرية إلى الله تعالى، والذين اعتنقوا هذه الفكرة يسمون بالمشبهة، "إذا كانت رؤيتنا لذات الله وصفاته وأفعاله كرؤيتنا للإنسان، فإننا نؤمن بالتشبيهات". (25)

يرفض ابن عربي في فص الحكمة السبوحية في الكلمة النوحية التنزيه ويقول: "علم أيدك الله بروح منه أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجنب الإلهي عين التحديد والتقيد، فالمنزّه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب، ولكن إذا أطلقاه وقالوا به، فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ولم يَز غير ذلك فقد أساء الأدب وأكذب الحق والرسَل صلوات الله عليهم وهو لا يشعر". (26)

يرفض ابن عربي التعطيل والصمت ولا يقبل التنزيه المحض، وينفي في موضع آخر التشبيه المحض، "كذلك من شبّهه وما نزّهه فقد قيّده وحدده وما عرفه".

والعارف الحقيقي عند ابن عربي من جمع بين التشبيه والتنزيه؛ وهو الذي اعتقد بالنطق والصمت، وهو الذي نسب صفات بشرية إلى الله، ونزّهه منها، واعتبر القائل بأي واحد من الطريقتين على الضلال، وله بيت معروف في كتاب فصوص الحكم حول التعطيل والتشبيه:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً وإن قلت بالتشبيه كنت محدداً
وإن قلت بالأمرين كنت مسدداً وكنت إماماً بالمعارف سيداً

في الأبيات السابقة، ينفي ابن عربي الإدراك والمعرفة بالتنزيه والتشبيه بشكل منفصل، ويرى أن المعرفة الصحيحة والإدراك الصحيح في الجمع بين الإثنين⁽²⁷⁾ هكذا يبدو أن سيد قطب الدين النيريزي تأثر بوجهة نظر ابن عربي بأنه لا ينبغي أن يشتغل المرء في معرفة الله وصفاته بالتنزيه المحض، أو التشبيه المحض، ويقيد الذات الإلهي بالاسم والجهة وتحديد الحالة المزاجية، ويقول:

وما بين إثبات الصفات ونفيها يسبّحه العباد في كل دعوة
تقدّس عن تعطيله عند نفيها تنزه عن تشبيهه بالبرية
فكان له أعلى الصفات مع تعاليه من تحديده بالإشارة. (28)

مخالفة الفلاسفة: الصوفية من الطوائف التي لم ترحب بالفلسفة، على الرغم من الميل الذي أبدى الفلاسفة ولا سيما الصدرائية منهم إلى الصوفية، لكن الصوفية في المقابل هجموا على الفلسفة. كان محي الدين بن عربي من أعظم متصوفة التاريخ، وكان له تأثير كبير على التصوف النظري من خلال كتابة آثاره القيمة، لكنه كصوفي عارف لم تكن له علاقة جيدة بالفلسفة، فكما قيل عن الصوفيين الآخرين، يمكن أيضاً بيان العلل الأصلية لمخالفته مع الفلسفة في أن "العقل غير قادر على إدراك العلوم والمعارف"، ولكن بالإضافة إلى هذا السبب، هناك علل وأسباب أخرى لمخالفة ابن عربي للفلسفة أيضاً، بما في ذلك سوء فهم بعض القضايا الفلسفية - مثل قاعدة الوحدانية والمعرفة الإلهية. من ناحية أخرى كان لابن عربي كصوفي عارف وفيلسوف نظاماً فكري خاص به؛ والاختلافات الجوهرية بين نظامه الفكري وفلاسفته المعاصرين له والذين سبقوه مثل ابن سينا كان سبباً آخر لابن عربي ليخالف الفلاسفة في معرفة الله، ومعرفة العالم، وحتى معرفة الإنسان، وحينما يتحدث في كتاب الفتوحات عن الحكمة وفصل الخطاب،

يرى الفلاسفة محرومين عنه، ويقول: «وأما الحكماء أعني الفلاسفة فإنَّ الحكمة عندهم عارية فإنَّهم لا يَعْلَمُونَ تَقْصِيلاً في الإجمال»⁽²⁹⁾

والشيخ الأكبر في كتاب الفتوحات المكية حيث يناقش النبوة ويراهم اختصاصاً إلهياً، وغير مكتسب، يحذّر القارئ بأن أخطاء أهل الفكر أكثر من صوابهم، ويجب أن تترك أحكام كتب الفلاسفة، وينشد:

إلا أن الرسالة برزخية ولا يحتاج صاحبها لینه

وهذا الحق ليس له الخفاء قدع أحكام الكتب الفلسفية. ⁽³⁰⁾

كذلك أعرب سيد قطب الدين النيريزي صراحةً عن معارضته للفلاسفة في قصائده، ومعاملته مع الفلاسفة كمعاملة سائر المخالفين للتصوف وهم الفقهاء لم تكن مرضية، بحيث يخاطب معارضيه بأنواع من الكلمات القاسية العنيفة، ويدل هذا الموقف على الأسلوب العنيف لقطب الدين ضد خصومه، وهو يشتغل بالرد على بعض الفلاسفة ويذكرهم بلهجة حادة، ويدعوهم إلى ترك أحكام الفلاسفة، وينشد: لقد ظل في الإبداع قومان أعرضا عن الحكمة العرشية النبوية، فلاسفة مشهورة بالفطانة وصوفية قد ألدوا بالجهالة. ⁽³¹⁾

4-خاتمة: أدركنا بتعمق أن كافة تجارب السيد قطب الدين النيريزي، وأحواله كانت ممتزجة في المال بثقافة الدين والتصوف والتي كان في رأسها شخصية كبيرة كابن عربي، ولهما مبان واحدة مستندتها القرآن المجيد والروايات الإسلامية والتصوف.

تأثر سيد قطب الدين النيريزي بشدة بابن عربي وشرّاح مدرسته بجانب تأثره من القرآن والسنة وروايات الأئمة (عليهم السلام)، ووافقهم في طريقتهم وبنسج معهم، وإن جزاً من الأشعار الروحية للنيريزي هو عصارة أعرق التجارب السلوكية للكبار كابن عربي، كما علم أن شطرا آخر من أشعاره عصارة تجاربه الشخصية التي وصلت إلى

الكمال خلال مراحل علمية وروحية، وتعد من ثمرات العلوم الإلهية، والمعارف الحقيقية، وتشتمل على الحقائق العالية للسير والسلوك، ومعارف المبدأ والمعاد.

مظاهر التأثير الفكري لابن عربي على النيريزي، أوضح من تأثيره البياني، وتظهر المحاور الفكرية المشتركة، مدى التأثير للنيريزي من ابن عربي أكثر، لكن القرب اللساني دليل آخر على هذا المدعى، وهذا التأثير ورد أحيانا في صورة نفس عبارة ابن عربي مع قليل من الفرق في الشعر العربي للنيريزي، ويكون أحيانا في صيغة التعبيرات والتمثيلات في بيان هذين العارفين بالاشتراك والانسجام، كمصطلحات مثل وحدة الوجود، والأعيان الثابتة، والحبّ و... فهي من التفسيرات المشتركة بين ابن عربي والنيريزي.

والنيريزي قبل وحدة الوجود كأصل مقبول تبعا للشيخ الأكبر، ويقوم لمخالفة معارضي هذا الأصل، واستفاد من أشعار لإيضاح مسألة وحدة الوجود والتي ذكرت نماذج منها.

وبنظرة إجمالية يوجد انسجام ووثام كامل في الأشعار العربية والموضوعات الصوفية للعارفين، وبإمكان هذه الاشتراكات أن تلاحظ كتأثيرات لابن عربي وابن فارض على قطب الدين النيريزي.

المؤلفات:

- القرآن الكريم، ترجمه محمد مهدي فولادوند. (طهران: مكتب التاريخ والدراسات الإسلامية).
- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، ترجمة محمد خواجوي (طهران، منشورات مولی، 1388 هـ.ش).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لغة العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (1416).

- الجبوسي، سلمى الخضراء: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، (مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان 2001).
- إمامي، علي أشرف، شمس، محمد جواد، (2005، دراسة في الخطابات الصوفية لسيد قطب الدين حسيني النيريزي، رقم: 63: 118-141)
- إمامي، علي أشرف، بيور حسن، محدثه (2015)، تجليات حكمة الرضوي في آثار سيد قطب الدين نيريزي، المؤتمر الوطني حول التصوف الإسلامي).
- پارسانيآ، حميد، جوادى آمولى، عبد الله، رحيق مختوم، شرح الحكمة المتعالية، (المجلد 3، إسرائ، 138).
- جهانگيري، محسن، محي الدين ابن عربي الوجه الأبرز في التصوف الإسلامي (مطبوعات جامعة طهران، 1390 هـ.ش).
- جرجاني، ي. ع. م، التعريفات، (طهران: منشورات، ناصر خسرو، 1370 هـ.ش)
- حيدري، مهدي، معرفة تصوف ابن عربي في الأدب الفارسي إلى جامي، (2015).
- خاوري، أسد الله، (1383)، تصوف الذهبية العلمية؛ (مطبعة جامعة طهران، 1383).
- خواجوي محمد (1384)، خاتم الأولياء عند ابن عربي وحكيم الترمذي، (طهران: منشورات مولی، 1384 هـ.ش).
- خوئي أمين الشريعة، ميزان الصواب في شرح فصل الخطاب، مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي، (طهران: مولی، 2004).
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد، بي تا، معجم المفردات، ألفاظ القرآن، بحث: نديم مرعشي. (قم، دار الكتاب العلمية).

- صدر الدين الشيرازي، ومحمد بن ابراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، (بيروت، 1417، مؤسسة التاريخ العربي).
 - فرغانى سعد الدين، (1379) مشارق الدراري، شرح التائية لابن فارض، مصحح، سيد جلال الدين آشتياني عرفان نظري، (طهران، مكتب الدعايات الإسلامية، 1379 هـ.ش)
 - مولوى، جلال الدين محمد مثنوي. تصحيح رينولد نيكلسون، (طهران: توس، 1375، افست).
 - نيريزي محمد سيد قطب الدين، رسالة الوحدة الحقيقة، نشرت في: تبشير الحكمة.
 - نيريزي، محمد، سيد قطب الدين، منظومة أنوار ولايات، مقدمة وتصحيح: الأستاذ محمد خواجوي، (شيراز: منشورات درياي نور، 1383).
 - نيريزي، محمد، سيد قطب الدين (1383) ميزان الصواب في شرح فصل الخطاب، تصحيح محمد خواجوي (طهران: مولي، 1383)
 - النيريزي محمد جواد. شمس، تاريخ وثقافة نيريز، (نيريز، منشورات كوثر نور، 1379 هـ.ش)
 - محمد صالح بن محمد باقر، ابن بابوية محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ترجمة روغني قزوين، المجلد 1، (قزوين، 1389 هـ.ش جامع جمكران).
- الأطروحات:**
- فاضلي، علي رضا، دراسة عن أحوال وآثار الصوفية وآرائها سيد قطب الدين محمد نيريزي وتصحيح أطروحة "الوحدة الحقيقية" وأطروحة "كل والجزء"، 1378 هـ.ش، القسم المعارف الإسلامية، (جامعة طهران، 1382، الصفحة 58-63)

مواقع الانترنت:

- محمد جواد شمس نيريزي، 1392 هـ.ش، تاريخ وفرهنگ نيريز، الموقع بالتفصيل:
<http://neyrizema.ir/texts.php?portal=mashahir&id=2081>

5- الهوامش والإحالات:

- ¹ - جهانگیری محسن: 1390، محبی الدین ابن عربی چهره برجسته عرفان اسلامی، الطبعة السادسة. ص: 5.
- ² - حیدري، مهدي، معرفة تصوف ابن عربي في الأدب الفارسي، (2015)، ص: 1.
- ³ - خاوري أسد الله: (1383)، ذهبیه تصوف علمی؛ (مطبعة جامعة طهران، 1383). ص: 98.
- ⁴ - خوئی امین الشریعه، (1383)، میزان الصواب در شرح فصل الخطاب، مقدمه وتصحيح محمد خواجهی، تهران: مولی. ج 2، ص: 1134.
- ⁵ - م. س: ج 2، ص: 118.
- ⁶ - شفیعی کدکنی: 1358 هـ.ش. ص: 136.
- ⁷ - نیریزی: ب.ت. ص: 19.
- ⁸ - مولوی: مثنوی معنوی، 1375 هـ.ش، ج 1 ص: 34.
- ⁹ - خوئی امین الشریعه، (1383)، میزان الصواب در شرح فصل الخطاب، مقدمة وتصحيح محمد خواجهی، تهران: مولی. ج 2، ص: 134.
- ¹⁰ - شمس محمد جواد، امامی علی أشرف: بررسی دیدگاههای عرفانی سید قطب الدين حسینی نيريزی، مجلات تخصصی نورصفحات: 118 الى 141، ص: 129.

- ¹¹ - خواجهی، محمد، (1384)، خاتم الاولیاء از دیدگاه ابن عربی وحکیم ترمذی. تهران: انتشارات مولی، ص: 36.
- ¹² - خاوری أسد الله: (1383)، ذهبیه تصوف علمی؛ (مطبعة جامعة طهران، 1383). ص: 85.
- ¹³ - خوئی امین الشریعه، (1383)، میزان الصواب در شرح فصل الخطاب، مقدمه وتصحيح محمد خواجهی، تهران: مولی. ج 1، ص: 667.
- ¹⁴ - م. س: ج 2، ص: 11.
- ¹⁵ - ابن عربی، محی الدین. (1388)، الفتوحات المکیة، ترجمه محمد خواجهی، تهران: انتشارات مولی ج 1 ص: 311.
- ¹⁶ - خوئی امین الشریعه، میزان الصواب في شرح فصل الخطاب، مقدمه وتصحيح محمد خواجهی، تهران: مولی. ج 1 ص: 1051.
- ¹⁷ - م. س: ج 1، ص: 1052.
- ¹⁸ - ابن منظور، جمال الدین محمد بن مکرم، (1410)، لسان العرب، بیروت: دار احیاء التراث العربی ج 14، ص: 121.
- ¹⁹ - الراغب الاصفهانی، حسین بن محمد، بی تا، معجم مفردات، ألفاظ القرآن، تحقیق نديم مرعشی، قم: دار الکتب العلمیة، 1383، ص: 324.
- ²⁰ - ابن عربی، محی الدین. (1405)، الفتوحات المکیة، ج 4، ص: 66.
- ²¹ - الخوئی، 1384، ص: 1082.
- ²² - المرجع نفسه.
- ²³ - م. س: ج 1، ص: 1092.
- ²⁴ - شمس محمد جواد، امامی علی أشرف: بررسی دیدگاههای عرفانی سید قطب الدین حسینی نیریزی، مجلات تخصصی نور صفحات: 1387، ص: 15.

²⁵ - م.س: ص: 68.

²⁶ - المرجع نفسه.

²⁷ - المرجع نفسه، ص: 70.

²⁸ - م.س: ص: 21.

²⁹ - ابن عربي، محيي الدين. (1383)، الفتوحات المكية، ج3، ص: 456.

³⁰ - م.س: ج2، ص: 523.

³¹ - خوئي امين الشريعة، ميزان الصواب في شرح فصل الخطاب، المقدمة والتصحيح محمد

خواجه، تهران: مولى. (1383)، ج1ص: 553.